في نيسان من عام ١٥٥٢ وقع الملك الصلح مع البابا واختفى رابليه . ولم تفلح الأبحاث التي جرت حتى الآن في تحديد ملامح فترة اختفائه . وكل مانعرفه ان هذا الكاتب العظيم توفي في باريس في النصف الثاني من عام ١٥٥٣ .

هذه لمحات من حياة هذا الكاتب العظيم موجزة في سطور قليلة . غير أن نظرة سريعة الى هذه السطور تعطينا تصورا عن الحياة العاصفة التي عاشها رابليه وتساعدنا على ايجاد العلاقة الوثيقة بين ابداعه الأدبي وبين عصره ، عصر الصراع على السلطة بين البابا والملك الفرنسي ، وعصر تفتح ميل الفرنسيين إلى المعرفة والتخلص من سيطرة آباء الكنيسة .

في عام ١٥٣٣ ظهر الى النور الجزء الأول الذي أصبح ثانيا فيما بعد من ملحمة رابليه الخالدة « غاراغانتوا وبانتاغروئيل » بتوقيع مستعار وكان بعنوان « أعمال بانتاغروئيل الشهير الفظيعة المخيفة وبطولاته » . ومنذ ذلك الحين واصل رابليه نشر اجزاء كتابه الخمسة كلما اتيحت له فرصة ذلك الى أن اختفى في عام ١٥٥٢ . ونحن لن ندهش ، بعد ان عرفنا ظروف حياة هذا الكاتب الانساني ، اذا علمنا أن كل جزء من أجزاء ملحمته الرائعة كان يدان ويمنع من قبل الرجعية الكنسية والسلطة الملكية بعد ظهوره . ولكننا لانستطيع الا أن نعجب من حيوية الكاتب واصراره وانسانيته التي لاحد لها .

« غارغانتوا وبانتاغروئيل » :

ماهي المسائل التي عالجها رابليه في كتابه وكيف فعل ذلك ؟ في الجزء الأول الذي ذكرناه قبل قليل يهاجم من خلال صياغة اسطورية مقنعة الكنيسة الكاثوليكية والواعظين ويسخر حتى من البابوات مؤكدا باستمرار على أن مواعظ الانجيل يجب ان تلقى ببساطة وطهارة وكمال كما عند البروتستانتيين قبل ظهور كالفن . ولكن أهم مافي هذا الكتاب هو رسالة غارغانتوا الى ابنه التي يدونها رابليه في الفصل الثامن من كتابه والتي تعد بحق بيان النهضة الفرنسية ونشيد المعرفة الجديدة والتنوير الجديد . غير أن نظرة رابليه إلى العالم لم تكن في تلك الفترة قد تكونت تماما . ولذا يجد المرء بعض الثغرات والتلميحات التي توحي بأن الكاتب لم يقل كل ماأراد قوله إما لكون الظروف غير ملائمة له وإما لكون المادة اللازمة غير متوفرة لديه .